

الملكة، فدخل دون أن يلتفت إلى هؤلاء الأحراس الذين أدهشهم مقدم الملك في هذه الساعة المتأخرة من الليل، ولكنهم لم يقولوا شيئاً، وما كان لهم أن يقولوا شيئاً، وأكبر الظن أن شيئاً من العجب قد ظهر على وجوههم، وفي النظرات القصيرة السريعة التي كانوا يتراشقون بها ويختلسونها إلى الملك اختلاساً.

وأغلق الملك من ورائه باب الغرفة في رفق شديد، وسعى في هدوء أيّ هدوء إلى سرير الملكة يمشي على أطراف قدميه، فلما بلغه نظر إلى الملكة نظرة طويلة؛ فإذا هي مغرقة في نوم حلو، واستمع إلى تنفسها فإذا هو منتظم هادئ، وإذا الملكة لم تحس شيئاً ولم تشعر بمقدم هذا الشخص الذي انسلّ إلى غرفتها في رفق كما تنسلّ الأفعى، على غير ما جرت به تقاليد القصر، ثم تراجع الملك شيئاً حتى انتهى إلى مجلس من مجالس الغرفة، فأهوى إليه رفيقاً حريصاً على ألا يُحْدِث حسّاً ما، وعلى ألا يزعج الملكة عن نومها، فلما اطمأن به مجلسه أطرق كأنما ينتظر شيئاً، ولكن انتظاره لم يكن طويلاً؛ فهذا صوت شهرزاد يبلغ أذنيه فيملؤه رعباً وفرقاً ويكاد يخرج به عن طوره، لولا أنه يذكر شيئاً فيثوب إلى نفسه في اللحظة الأخيرة ويطمئن في مجلسه مادّاً عينيه في الفضاء مصغياً إلى هذا الصوت الذي يسعى إليه من قبل شهرزاد صافياً نقياً، كأنه صوت ذلك الغدير الذي أحب الملك أن يجلس إليه حين تؤذن الشمس بالغروب، فيسمع إلى غنائه العذب وهو يداعب الحصى، وكأنما أسكره هذا العرف الذي تهديه إليه من شاطئيه جميعاً أنفاس الورد والزرجس والياسمين.

٢

وكان هذا الصوت الحلو يقول في نغمات موسيقية نافذة إلى القلوب أخاذة للنفوس لم يعرفها الملك حين كانت شهرزاد تقص عليه أحاديثها مستيقظة؛ بلغني أيها الملك السعيد أن طهمان بن زهمان ملك الجن في حضرموت كانت له فتاة حسناء رائعة الحسن بارعة الجمال، لا تثبت القلوب للحظاتهما إذا نظرت، ولا تثبت النفوس لصوتها إذا تكلمت، وكانت على حسنها الرائع وجمالها البارز ذكية القلب نافذة البصيرة، قد قرأت كتب الأولين وعرفت حكمة المحدثين؛ فلم يكن شيء يستغلق عليها، ولم يكن حكيم يثبت لحديثها أو يقدر على مناظرتها، وكان ملوك الجن في أطراف الأرض التي يسكنها الناس وفي أطراف الأرضين التي ليس للناس بها عهد، قد تسامعوا بجمالها وذكاؤها وما أتيح لها من فطنة وفتنة، وتسارعوا إلى أبيها الملك طهمان يخطبونها إليه ويحكمونه فيما يخضع لهم من